انتبه أيها الغافل

أزهري أحمد محمود

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com

دار ابن خزيمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تعالى أكـرم فأحسن التقـويم، وهــدى عبــاده إلى صــراطه المســتقيم، والصَّــلاة والسَّــلام على المبعــوث بــالنُّور الأنـور، وعلى آله وأصـحابه أربـاب الشـرف الأكبر.

وبعــد: الــذنوب! ما أســوأ طريقهــا! وما أخسر ربحها!!

صاحبها في عناء! وطالبها في تعب!!

راحتها ســراب كــاذب! وشــقاؤها يقين صادق!!

وهـذه أيها المـذنب لافتـات تمر بها وأنت في طريق المعاصي!!

نعم.. إنها لافتات قد لا تراها.. ولكنها في طريقك تمر عليها في صباحك والمساء!!

فهل وقفت يومًا لتنظر فيهــــا.. وتقــــرأ حروفها؟!

فتنبه أيها المــذنب!! واقــرأ معي هــذه اللافتات واحدة.. واحدة!!

﴿**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَــارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ [الحج: 46].

فإلى أول لافتة!!

انتبه أيها الغافل!!

قلوبٌ أعمتها الـدنيا بـالزخرف الكـاذب.. وتربَّع في شغافها حُبُّها الأنكد!

لا تعــرف الســرور إلا عن طريقهــا.. ولا تهتدي إلى اللذاذة إلا من بابها!

ركـدت خلف سـرابها الخـادع.. وتجـافت عن سرورها الضائع!

سـاعات تمضي بغـير حسـاب.. وأعمـارٌ تنقضي إلى خراب!

ومن البَليَّةِ أن ترى لك
في صُورةِ الرَّجُلِ السَّميعِ
فَطِنٍ بكلِّ مصيبة في ماله
وإذا يُصَابُ بدينِهِ لم يَشْعُرِ

أيها المـــذنب! ما بالك تحصد الفـــاني.. وتترك الباقي؟!

ما بالك أعرضت عن لـــذة الطاعـــات.. وتلذَّذت بمرارة الخطيئات؟!

أهي الغفلة.. أم الفطنة والعقل؟!

كان عمر بن عبد العزيز يقول:

نُسَرُّ بما يَبْلَى ونفرحُ بالمُنَى
كما اغتَرَّ باللَّذاتِ في النَّومِ
نهارُكَ يا مغرورُ سهوٌ وغفلةٌ

وليلُكَ نوْمٌ والرَّدى لكَ لازمُ
وسعيُكَ فيما سوفَ تكرهُ غِبَّهُ
كذلكَ في الدُنيا تعيشُ البَهائِمُ

*** أيها المـذنب! سـكون قلبك إلى غير مولاك عقاب من الله تعالى!**

قال أبو محمد المرتعش: «سكون القلب إلى غير المـولى تعجيل عقوبة من الله في الدنيا»!

وقـال سـهل بن عبد اللـه: «حـرام على قلب أن يشم رائحة اليقين، وفيه سـكون إلى غـير اللـه! وحـرام على قلب أن يدخله النور، وفيه شيء مما يكره الله عزَّ وجلَّ»!

*** أيها المـذنب! بئست الخصـلة الغفلة عن أمر الله تعالى!**

أيها المـذنب! بئس ما تسـربلت بـه! لقد اخترت صفة وصف الله بها أعداءه.. وذمَّهم عليها أيَّما ذم!

قـال الله تعـالى: ﴿**وَلَقَـدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِـيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُـوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾ [الأعراف: 179].

قــال القرطــبي: «لأنهم لا يهتــدون إلى ثــــواب؛ فهم كالأنعـــــام؛ أي همتهم الأكل والشـــــرب، وهم أضل لأن الأنعـــــام تبصر منافعها ومضارها، وتتبع مالكها، وهم بخلاف ذلـك! وقـال عطـاء: الأنعـام تعـرف اللـه، والكافر لا يعرفه! وقيل: الأنعـام مطيعة لله تعـالى، والكـافر غـير مطيـع! ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾؛ أي: تركوا التدبر، وأعرضوا عن الجنة والنار»!.

*** فيا من شــغلت قلبك بغــير الله أتدري ماذا حصدت؟!**

لقد حصدت الغفلـة.. وبئس ما حصـدت! ورجعت بالخيبة والحرمـــــــــــان.. وبئست الصفقة!

قـال علي بن أبي طـالب ﷺ: «إن أخـوف ما أخاف عليكم؛ اتباع الهوى، وطول الأمل، فأما اتبــاع الهــوى؛ فيصد عن الحــق، وأما طول الأمل؛ فيُنسي الآخرة..».

فكم من صــاحب ذنب شــغله ما هو فيه من الذنب عن فرائض الله تعـالى، والقيـام بوظيفة العبودية الخالصة لله تعالى.. فتراه متهالكًا في شـــهواته.. ســـادرًا في غيِّه، لا يرده واعظ.. ولا يعظه زاجر!

*** أيها المذنب! ألهاك طــول الأمل عن سعادتك الحقيقية!**

داء تغلغل في القلـــــــوب.. وتمكن من سويدائها! وصاحب الذنب من أطول الناس أملاً.. وأكسلهم عن الطاعات!

فطــول الأمل يــورث الغفلـــة.. والغفلة تورث التهاون في الطاعات، والوقــوف في المعاصي.. ويزداد طول الأمل عند العاصي؛ لأن حبَّ الشــهوات يزيد من تعلقه بالــدنيا، وحبه للبقاء!

* قـال الحسن البصـري: «ما أطـال عبد الأمل إلا أساء العمل»!

* وقــال القرطــبي: «فالأمل يكسل عن العمل، ويــورث الــتراخي والتــواني، ويعقب التشـــاغل والتقـــاعس، ويخلد إلى الأرض، ويميل إلى الهــــــوى.. كما أن قصر الأمل يبعث على العمـــل، ويحيل على المبـــادرة، ويحث على المسابقة».

* أيها المذنب! لا تغفلنَّ عن صلاح قلبك!

اعلم أيها المسكين أن صـلاح أمـرك كله مرهون بصلاح قلبـك.. فـإذا صـلح؛ صـلحت دنياك وآخرتك.. وإذا فسد فسد ذلك كله!

قال رسول الله ﷺ: «**ألا وإنَّ في الجسد مضغةً، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسدُ كلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجسدُ كلُّهُ، ألا وهي القلب**» [رواه البخاري ومسلم].

قال بعض الحكماء: «إذا لم يُستعمل القلب فيما خُلق له من الفكر في اجتلاب المصالح في الدين والدنيا واجتناب المفاسد تعطل، فاستترت جوهريته، فإذا أضيف إلى ذلك فعل ما يزيده ظلمة؛ كشرب الخمر، وطول النوم، وكثرة الغفلة، صار كالحديد يغشاه الصدأ فيفسده»!

*** يا من وقفتَ نفسك عند الشهوة الفانية!!**

يا أيها الغافل عن سعادته الحقيقية.. واللاهي عن النعيم الباقي! هل فكرت بأي ربح رجعت؟!

﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآَخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ [الأنعام: 32].

دخل ابن السماك على هارون الرشيد فقال: عظني وأوجز. قال: ما أعجب يا أمير

المؤمنين ما نحن فيه! كيف غلب علينا حب الدنيا؟! وأعجب لما نصير إليه! غفلتنا عنه عجبٌ، لصغير حقير إلى فناء يصير، غلب على كثير طويل دائم غير زائل!

*** ويا من اخترت الذنب على الطاعة أتدري ولاية من اخترت؟!**

لقد اخترت ولاية عدو الله إبليس.. الذي أغوى من قبل أبويك، وأخرجهما من الجنَّة.. فكم يسره أن يراك على المعصية!!

﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا**﴾ [الكهف: 50].

فإنَّك إذا تفوهت بكلمة لم يكن لله فيها نصيب كانت للشيطان!

وإذا أمضيت بعضًا من وقتك في حاجة لم يكن لله فيها نصيب كانت للشيطان!

وإذا جلست مجلسًا لم يكن لله فيه نصيب كان المجلس مجلسًا من مجالس الشيطان!

قال ابن القيم: «إن مجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة

مجـالس الشـياطين، فليخـتر العبد أعجبهما إليه وأولاهما بـــه؛ فهو مع أهله في الـــدنيا والآخرة»!

فتأمَّل في حالك أيها المغبــون.. واخـــتر ولاية الله تعالى أو ولاية الشيطان!

وأنت بـــالأولى: ســـعيد.. ستحشر مع السـعداء.. وبالثانيــة: شــقي.. ستحشر مع الأشقياء!

* الدنيا بضاعة المفاليس!!

أيها المـــذنب! غرَّتك الحيـــاة الـــدنيا بزهرتها.. وسبتك بزخرفها الخــادع! فعكفت ملازمًا ساحتها.. وأنخت رحلك بعرصتها!

وقد حــــذَّرك الله تعـــالى من زهرتها الكاذبـــة.. ونعيمها الآفـــل.. وذمها لك في كتابه العزيز ذمًا يزهد العاقل عن صــــفوها المكدور!

قــال الله تعــالى: **﴿إِنَّمَا مَثَــلُ الْحَيَــاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَـطَ بِـــهِ نَبَـــاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُـــلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَـــــــادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِــيدًا كَـأَنْ لَمْ تَغْنَ بِــالْأَمْسِ كَـذَلِكَ**

نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَـوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ [يـونس: 24].

قـال رسـول الله ﷺ: «**فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكنَّي أخشى عليكم أن تُبسط الـدنيا عليكم كما بُسـطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافَسُـوها، وتهلككهم كما أهلكتهم**» [رواه البخاري ومسلم].

أيها المـذنب! إنها الـدنيا! إذا أضـحكت.. لطالما أبكت!

وإن حَلَتْ.. لطالما أهلكت!

نجا منها الهارب.. وهلك بواديها الراغب!

الحكيم من أحكمته مصــــائبها.. والغافل من خدعته رغائبها!

* أيها الغافل! هل تذكرت الموت؟!

يا من عبثت مع العابثين.. وأضعت العمر مع اللاَّهين.. هل تذكرت الرحيل؟!

الرحيل إلى دار يا ويل من رحل إليها ولم يقدم صالح الأعمال!

أيها المذنب! أما ترى الخلق في كل يوم يرحلون إلى تلك الدار؟! فهل سألت نفسك يومًا: بأيِّ زاد سـترحل؟! أيها المسـكين! ما أطول سفرك!

* قــال الحسن البصــري: «عجبًا لقــوم أُذنـــــوا بالرحيـــــل، وترحَّل أوائلهم وهم يلعبون»!

* وقـال عبد الله بن ثعلبـة: «يا ابن آدم، تضـــــحك ولعل أكفانك قد خـــــرجت من القصَّار»!

* وكتب بعض الزهــاد إلى أخ لـــه: «كثُر تعجـــبي من قلب يـــألف الـــذنب، ونفس تطمئن إلى البقاء، والساعة تتلقاها، والأيام تطوي أعمارنا! فكيف يألف قلب ما لا ثبات له في الــدنيا؟! وكيف تنــام عين لا تـــدري لعلها لا تطرف بعد رقـدتها إلا بين يـدي الله عز وجل»؟!

* وعن ضـــمرة بن ربيعة قـــال: «رأيت عابــــدًا من العبَّاد، وقد اجتمع عليه النَّاس، وهو يقول: عجبت من النَّاس أنهم ينظـرون إلى الموتى في كـلِّ يـوم يُنقلـون، وهم في الــدنيا في غفلة يلعبــون! فَهَبْـكَ يا ابن آدم تصِحُّ من الأسقام، وتـبرأ من الأمـراض، هل تقـدر أن تنجو من المـوت؟! قـال: فـارتج المسجد بالبكاء، ثم غُشي عليه»!

أيها المــذنب! إيَّاك أن يبــادرك المــوت

وأنت في غفلتك من اللاهين!

فيومها ستطول الحسرات.. وتتضاعف المصيبات!

قال رجل لزهير البابي: ألا توصي لي بشيء؟ فقال: «احذر لا يأخذك الله وأنت في غفلة»!

فتدارك أمرك أيها المذنب! ولا تغرنَّك صحة، ولا شباب، ولا جاه.. فما أسرع أن تتقلب الأحوال!

قال حاتم الزاهد: «أربعة لا يعرف قدرها إلاَّ أربعة: قدر الشباب، لا يعرف قدره إلا الشيوخ، ولا يعرف قدر العافية إلا أهل البلاء، ولا قدر الصحة إلا المرضى، ولا قدر الحياة إلاَّ الموتى»!

* أيها المذنب! تذكَّر وقوفك بين يدي من لا يغفل ولا ينام!!

أيها المطيل حبله في غي الذنوب.. أنسيت أنك تحت سمع وبصر من لا يغفل ولا ينام!

فاذكر – أيها المسكين – وقوفك بين يديه يوم التغابن.. ﴿**يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾.

قال أبو الدرداء ﷺ: «أضحكني ثلاث،

وأبكـــاني ثلاث: أضـــحكني: مؤمل الـــدنيا والموت يطلبه، وغافل ليس بمغفـول عنـه، وضـاحك وليس يـدري أراض الله عنـه، أم ساخط عليـه، وأبكـاني: فـراقُ الأحبة محمد وحزبه، وهول المطلـع، والوقـوف بين يـدى الله عزَّ وجلَّ يوم تبدو السـرائر، ثم لا أدري إلى جنَّة أم إلى نار»!

* وتـــذكَّر – أيها المســكين – لقـــاء ربك تعالى!!

* عن مجاهـد، قـال: «قـال لي عبد الله بن عمر: يا مجاهـد! إذا أصـبحت فلا تحـدِّث نفسك بالمســاء، وإذا أمســيت فلا تحـــدِّث نفسك بالصــــــــباح، وخذ من حياتك قبل مماتـك، ومن صـحتك قبل سـقمك؛ فإنك لا تدري ما اسمك غدًا»!

* وقـــــــال ابن القيم: «للعبد رب هو ملاقيـــه، وبيت هو ســـاكنه، فينبغي له أن يسترضي ربَّه قبل لقائـــه، ويعمر بيته قبل انتقاله إليه».

*** أيها المـــــــذنب! داو قلبك من غفلته!!**

لكلَّ داء دواء.. وإن أولى ما داوى المــرء منه نفسه أمراض القلوب.. ودخن النَّفس..

أيها المذنب! ما أحوجك إلى مـداواة ران القلب.. ونزغات الشيطان..

* فـــأكثر من ذكر المـــوت.. فـــإن ذكر الموت دواء عجيب لقسوة القلوب!

* وأكـــــثر من ذكر الله تعـــــالى، وتلاوة كتابــه.. ففي ذلك شــفاء ورحمــة.. ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَـدْ جَـاءَتْكُمْ مَوْعِظَـةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُـدًى وَرَحْمَـةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [يونس: 57].

وقال رجل للحسن البصري: يا أبا سـعيد أشــكو إليك قســوة قلــبي. قــال: «أذبْــهُ بالذكر».

* وزر المقــابر.. فإنَّها تــذكِّرك الآخــرة.. قـــال رســـول الله ﷺ: «**زوروا القبـــور، فإنَّها تـــــذكِّركم الآخــــرة**». [رواه ابن ماجه/ صحيح ابن ماجه للألباني: 1591].

وســأل رجل عائشة رضي الله عنهــا: ما دواء قســـــــوة القلب؟! فأمرته بعيــــــــادة المرضى، وتشييع الجنائز، وتوقُّع الموت.

* واصحب الأخيار، الـذين يـذكِّرونك بالله تعالى..

وينصــحونك إذا غفلت.. وإيــاك وصــحبة أصــدقاء الســوء.. فـإن صـحبتهم خلف كل

بلية!

* وأكثر من سـماع المواعظ الـتي ترقق القلب..

* وابتعد من مجـالس السـوء.. ومـواطن الشبهات..

* وأكـثر من دعـاء الله تعـالى أن يهـدي قلبـــــــك.. ويعينك على هـــــــوى النفس والشيطان.. وأن يثبتك على ذلك..

* وجاهد نفســـك.. واعص هواهـــا.. ولا تُتْبعها شهواتها..

* وأكثر من التأمل في سير الصــالحين.. فـإن في سـيرهم من الهـدى والمواعظ ما يرقق القلوب.. وينشِّط على الطاعة..

* وتـــذكَّر رقابة الله تعـــالى، وشـــديد عقابه.. فإن الصـبر عن المعصـية أيسر من الصبر على عذاب الله تعالى!

ثم أيها المـذنب! احـرص على عقد النية الصـــادقة للمراجعة والتوبـــة.. ثم أتبع ذلك بصدق التوجه إلى الله تعالى.. يصــلح حالك إن شاء الله تعالى..

والحمد لله تعــالى.. والصَّــلاة والسَّــلام على النَّبي وآله والأصحاب..

أزهري أحمد

محمود
الرياض 11465 –
ص.ب 20846

* * * *